

وإصطفى أى اختار، والمقصود اختار هؤلاء الأشخاص ليكون الأنبياء من سلالتهم.

أما أمها فقد رصد القرآن موقفها حين حملت بها:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥)

والمقصود بقولها «نذرت» أنها نذرت ما فى بطنها للخدمة فى بيت المقدس، والمقصود بقولها «محررا» أى مخلصا للعبادة.

ولم يلبث والد مريم أن توفى وهى فى بطن أمها، ثم جاء موعد الوضع، ويبدو أن الأم كانت تتوقع أن يكون المولود ذكرا، لولا أنها فوجئت بأنها وضعت أنثى. فقالت تخاطب ربها:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٦)

وليس المقصود بقولها «ليس الذكر كالأنثى» أن هناك فرقا بين الذكر والأنثى فى الخلق، بل لأن العادة كانت أن يندر الناس أبناءهم الذكور، وبالتالي فالمقصود أن الذكر ليس كالأنثى فى هذا الأمر المتعلق بالنذر.

لكن الله الذى شاءت حكمته أن تلد امرأة عمران أنثى لم يفرق مثل هذه التفرقة، إذ قال عن نفسه سبحانه:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (٣٧)

(١) سورة آل عمران الآية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦.

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٧.

والحقيقة أن كفالة زكريا لم تكن محل اتفاق من الآخرين، بدليل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَهْلُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١).

وكفالة زكريا لمريم كانت لحكمة إلهية، فزكريا كان نبيا وتربيته لمريم كانت تعنى تهيئتها للمهمة التي خلقها سبحانه من أجلها.

وزكريا ليس غريبا عن مريم، فهو زوج خالتها، وقد لاحظ زكريا عليه السلام أن مريم لها صلة بالله منذ وقت مبكر، فكلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، وقد فسر المفسرون هذا الرزق بأنه كان يجد لديها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وحين يسألها ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ تجيبه برغم صغر سنها: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢) وهذا يدل على رعايته سبحانه لها منذ طفولتها المبكرة وصلتها العميقة بالله.

وقد جاءت الملائكة لمريم وهي في هذه السن المبكرة لتبلغها رسالة إلهية مهمة:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَمْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

وتكرار كلمة اصطفاك ذو دلالة، لأن الكلمة تعنى الاختيار، وقد وصف سبحانه عددا من أنبيائه بهذه الصفة كما جاء في سورة «ص»:

(١) سورة آل عمران الآية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٧.

(٣) سورة آل عمران الآية ٤٢.

مِنَ التَّوْبَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بِعِضِ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ ﴿١﴾

و ذات يوم كانت مريم تتعبد في مكان شرقي في بيت المقدس ، ويقال أنها انتبذت للاغتسال من الحيض ، وبينما هي على هذا النحو إذ أرسل إليها سبحانه روحه ، أى ملاكا من ملائكته ، في صورة بشر ، وحين رآته داخلها الخوف :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ١٨ ﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩ ﴿١﴾

وردت العذراء البتول :

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠ ﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١ ﴿١﴾

هكذا وجدت الفتاة نفسها حاملا دون رجل ، ودون إرادة منها ، و حارت ماذا تفعل ، وأخيرا استقر رأيها على الابتعاد عن الناس حتى لا تكون فضيحة لها في بنى إسرائيل الشداد الغلاظ ، ولكن لنكمل القصة بالألفاظ القرآنية :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢ ﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ٢٣ ﴿١﴾ فَادَّانَهَا مِنْ مَحَنَاهَا

(١) سورة آل عمران الآيات ٤٧ - ٥١ .

(٢) سورة مريم الآيات ١٨ - ٢١ .

أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنَكِ سَرِيًّا ﴿٢٦﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجَيْدَ النَّخْلَةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٧﴾ فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾

وعادت العذراء البتول إلى قومها تحمل طفلها وتواجههم، وما إن رأوها حتى كالوا لها الاتهامات:

﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾﴾ ﴿٣٩﴾

وتأتى المعجزة الإلهية فينطق الطفل الوليد مخاطبا من يتهمون أمه:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ ﴿٣٤﴾

وعاشت مريم لتربى ولدها الذي حفت بحمله وولادته المعجزات. وهنا تبدأ قصة جديدة هي قصة المسيح عليه السلام، لكن قبل أن ننقل لهذه القصة فلنر معا قصة العذراء في الإنجيل لتتعرف إلى مدى التشابه بين الكتابين المقدسين.

جاء في إنجيل لوقا:

«أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم.

(١) سورة مريم الآيات ٢٢ - ٢٦.

(٢) سورة مريم الآيات ٢٧ - ٢٨.

(٣) سورة مريم الآيات ٣٠ - ٣٣.

فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء. فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدتِ نعمة من عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.

فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. وأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله....

وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة. وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية. فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد عند والى مدينته. فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل^(١)....».

إن نظرة واحدة على القستين تبين لنا الاتفاق بين الكتابين المقدسين فى الأحداث الرئيسة، فمريم كانت عذراء. ثم حضر إليها الملك لبشرها، ثم نجد ما يكاد يكون تطابقا فى اللفظ. إذ تقول مريم كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا أليس هذا السؤال شبيها بما جاء فى القرآن

(١) إنجيل لوقا / الإصحاح الأول والإصحاح الثانى.

﴿أَفَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾^(١) وبعد هذا تتم الولادة ليكون المسيح طفلاً بلا أب بشرى في معجزة من المعجزات الربانية الدهشة؟ بعد هذه العجالة عن العذراء البتول ننتقل إلى عيسى عليه السلام.

ثانياً: صورة المسيح عليه السلام

ينص القرآن أن المسيح عليه السلام جاء مصدقاً لرسالة موسى عليه السلام، فنرى في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ لِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٢).

ويذكر معجزاته التي لا تختلف عما جاء في الإنجيل:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنشِئُكُمْ بَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٣).

ويوجب على كل مسلم أن يؤمن به:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

وفي سورة آل عمران يتكرر المعنى:

(١) سورة مريم الآية ٢٠.

(٢) سورة آل عمران / ٥٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ٤٩.

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٦.

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤) (١)

ويبين خلاف بني إسرائيل له والتفاف الحواريين حوله فيقول سبحانه

في سورة المائدة:

﴿ وَإِذْ كَفَفَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ اجْتَنَبُوا بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١١٠) ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١١١) (٢)

ويذكر سبحانه الحواريين مرة أخرى في سورة آل عمران باعتبارهم

أنصار المسيح إلى الله:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣)

هل معنى هذا أنه لا يوجد خلاف بين صورة المسيح عليه السلام في

القرآن والإنجيل؟

الإجابة بالنفي فهناك أوجه اختلاف، لكن الملاحظ أن مثل هذه

الخلافات توجد بين أتباع كل دين على حدة، فالفرق المسيحية تختلف

فيما بينها حول طبيعة المسيح، والفرق الإسلامية تفترق فيما بينها حول

الذات الإلهية لحد أن بعضهم كان يكفر بعضا بسبب آرائه، لكن هذه

(١) سورة آل عمران الآية ٨٤.

(٢) سورة المائدة الآيات ١١٠ - ١١١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٢.

المسألة يجب أن نفهمها في ضوء القاعدة الذهبية التي ذكرناها في البداية، وهي قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ (١٨)

ولعل من المسائل الخلافية التي تثور بين المسلمين والمسيحيين في بعض الأحيان مسألة تبشير المسيحية بمحمد، ولعل هذا الأمر، يتكرر في موقف الدين السابق والدين اللاحق من بعضهما دائماً، فكل دين يقول إن الدين السابق بشر به، لكن أنصار الدين السابق يرفضون هذا، كما أن كل دين يعترف بالدين السابق عليه، لكن أتباع الدين السابق يرفضون التصديق بالدين الجديد وبنبيه. وبالتالي فهذه نقطة تتصل بالأديان جميعاً، وعلينا أن نسلم بهذه القاعدة باعتبارها أمراً واقعاً.



(١) سورة المائدة الآية ٤٨.